مجلة الرائد

العدد : ٢٢٠ الموافق في صفر ١٤٢١ هجري ٦/٢٠٠٠ ميلادي

عنوان المقال : رأي :أبناء الإسلام تعالوا إلى كلمة سواء !!	بقلم : أ. ماجد رسلان

الذي دعاني لاختيار هذا العنوان ، موقفٌ فَذٌّ تجلى عند نفرٍ من جيل القدوة المثلى ، أعطى بزَخمٍ كل المبررات والأسباب لأن نقول بملء الأفواه : إن ذاك الجيل من الصحابة الكرام سما فوق السمو ، وحَلَّق عالياً فوق أجواز الجوزاء ؛ فهماً بصيراً ، وتصوراً عتيداً ، ويقيناً راسخاً ، وصِدْقاً صادقاً ، وإخلاصاً مشرقاً ، وعملاً بنّاءً دؤوباً للرسالة الخاتمة ، الطاهرة المطهرة .. فقد بعث سعد ابن أبي وقاص قُبيل معركة القادسية إلى رستم قائد جحافل الفرس ، ثلاثة من حَواري الإسلام على التوالي للمفاوضة معه ، فكانت إجابتهم واحدة بعينها على سؤال طُرح مكرراً : لماذا خرجتم من جزيرتكم ، وقد كنتم كذا .. وقد كنتم كذا .. وقد كنتم كذا .. ؟! : (الله ابتعثنا لِنُخرجَ من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، ومن ضِيق الدنيا إلى سَعة الآخرة ، ومن جَوْر الأديان إلى عدل الإسلام !!) .

تأمل هذا الفهم الدقيق ، والجواب الأريب ، والتصور الشامل ، والإيمان العميق ، والعقيدة الراسخة ، والتلخيص البليغ لمهمتهم في أداء تبليغ الرسالة للناس أجمعين ، وإنقاذهم من نار الشرك وتسلط الفراعين .. !!

وحين تحدث القرآن الكريم عن ذاك الجيل الذي نادى أهل الكتاب مُحاوراً ومجادلاً بالتي هي أحسن: { ... **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلا نَعْبُدَ إِلا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**} [آل عمران : ٦٤] .

كان أمر الدين والعقيدة والرسالة ، وتكاليف الخلافة ، وأمانة الاستخلاف .. في غاية الوضوح في أفهامهم ومداركهم ، وفي غاية الجلاء في عقولهم وقلوبهم ، وفي غاية الإشراق في مشاعرهم وأعمالهم .. تجلى هذا كله في هذه الكلمة الرائعة (الله ابتعثنا ..) . ألا ما أعظم مِنَّة هذا الابتعاث وما أجلّها وأكرمها .. حقاً كانوا مدركين لقيمتها وقيمها ، حقاً كانوا مزدانين بها ، ومزينين جلالها وجمالها بأفعالهم وإخلاصهم : فكانوا عند حسن ظن الله بهم ، وبجلادهم وجهادهم ، فاستحقوا رضاه الممدود اللامحدود .. { ... **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ** } [البينة : ٨] .

أجل تصور واحد ، وإدراك واحد ، والتزام واحد ، وطاعة واحدة ، واستجابة واحدة ، وعمل كامل متكامل واحد ، لأن المعين الذي كانوا ينهلون منه واحد هو (كتاب الله وسنة رسوله) فكان يمدهم بعطاءات متجددة من الهدى لا يَنْضب ، وصَدَق رسول الله ﷺ : (تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا

بعدي أبداً : كتاب الله وسنتي) إن نداءهم مع قائدهم أهلَ الكتاب ، كان في غاية الحق والعدل ، ومنتهى اليقين والقوة لإرساء عقيدة التوحيد ومبادئ العبودية الكاملة الخالصة لله عزَّ وجلَّ ، لأن استقامة الحياة بكل شُعبها في عقيدة هذا الدين مرهون بالاستقامة على التوحيد ، كاستقامة الكون كله على ناموسه وسَننه ونظامه ، الذي برأه عليه وأنشأه خالقه سبحانه وتعالى .

أليس من الأجدر أن يتنادى قادة الحركات الإسلامية كافة في بقاع الدنيا إلى كلمة سواء على الكتاب والسنة لمواجهة تنظيمات بتنظيم ، وتخطيطات بتخطيط ، ودراسات بدراسة ، وإعلاماً بإعلام ، وتجمعات بتجمع ، ولقاءات بلقاء ، ونداءات بنداء ، ودعوات بدعوة لهذا الدين العظيم ورسالته ، الذي يحمل مشاعل النور والهداية ؟!

أليس من الأدْعى التنادي في مثل هذه الظروف المنتجة لهذا الواقع الأليم، الذي أخذ أعداؤهم فيه بسحق كل ما هو جميل ، وكل ما هو حق و أصيل في فطرة الوجود الإنساني كله ، بغباء وجحود ، ما بعده غباء وجحود ؟!

إذا ما قمت بمسح شامل لساحات العمل الإسلامي في طول الأرض وعرضها فستجد صوراً مرعبة من التناقض والتضاد في مفردات ضخمة تكاد تكون غير متناهية العدد ، يُلطخها سواد ويكتنفها غموض ، ويكسوها عُوار ويغشاها ألم مُمِضّ وعذاب شديد ، لا يسر ولا يفرح إلا عدواً ماكراً يتربص بالإسلام وأهله دوائر الهلاك والفساد بالليل والنهار !! .

أجل ! تجد جماً غفيراً من جماهير حركاتٍ وتجمعات وتنظيمات .. لا يهشون ولا يبشون إلا لمن كان على شاكلتهم ومن جماعتهم أو حزبهم أو تجمعهم الخاص ، ولا يعملون ولا يتلاقون إلا مع من يحمل تصوراً أو أفكاراً خاصة ، ولا ينسقون ولا ينظمون إلا من يعمل بأسلوب دعوي خاص ، ولا يأتلفون إلا مع من يدور في فَلَك سياسي خاص ، أو يتحرك ضمن إطار اجتماعي خيري خاص ، وكأن هذا الدين غدا مائة إسلام بمائة عقيدة ، بمائة فهم ، بمائة تصور ، بمائة نهج وتشريع ، وصدق رسول الله ﷺ القائل : (والذي نفس محمد بيده لتفْترقنَّ أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، واحدة في الجنة واثنتان وسبعون في النار) صحيح الجامع : ١٠٨٢/١ ، وفي رواية حين سُئل عن التي تدخل الجنة قال : (ما أنا عليه وأصحابي) .

من هنا كان الاختراق المتعدد المَهول للتجمعات بكل أطيافها المحتربة المتنافرة ، والمبعثرة المتباينة .. الاختراق لصفوفها المتعددة ، والهدم لتنظيماتها ، والتشويه لنفوس أصحابها وسلوكياتهم ،

والتشويش لعقولهم وأفكارهم ، والمحيرة لقلوبهم ، والفساد لمعاشهم ، والإفساد لمعادهم ، بالتنكب لأصل دينهم وعقيدتهم .

أليس من العار الفظيع أن تجد إخوة الإيمان والسلاح والجهاد في أفغانستان الجريحة المنكوبة المنكودة .. قاتلوا أعداءهم الروس ومن معهم عشرة أعوام ، بينما تقاتلوا فيما بينهم عشرين عاماً سالت الدماء فيها أنهاراً وما زالت تسيل ، وما يزالون يتقاتلون ؟! على ماذا ؟ لا ندري وربما هم لا يدرون ، ولكن دوائر رصد العدو لهذا الدين وأهله تدري .. ولكن الذي ندريه أن الرسول الكريم قال : (لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض) رواه البخاري ، ومما يؤسف له أننا نعيش عالماً عجيباً من التخطيط الدقيق ، والتنظيم المدهش ، والتعاون والتلاقي المُحيّر لكل من هبَّ ودبَّ ، وإن اختلفت العقائد والمشارب ، وتباينت الشعارات والمناهج ، وتعارضت الأسماء والمسميات ، وتلونت التنظيمات والمجتمعات .. كل ذلك من أجل ما يُسمى بالمصالح المادية المشتركة !

ألا يدعو إلى الدَّهش والاستعجاب ويجعل الحليم حيران : أن نرى أهلَ الباطل من أبالسة الشر والإثم والغدر يجتمعون ويتعاونون ويأتلفون على الدينار والدرهم .. وأهل الحق والخير يفترقون ويحتربون ، ويمكر بعضهم بعضاً باسم الإسلام المُعَظَّم !!

◆ هل غفلت الجماعات الإسلامية وقادتها عن أمر هو في غاية الأهمية والخطورة : أن الجميع داخل دائرة الضوء والترصد من الذين قال الله تعالى فينا وفيهم :

{ **وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ** } [البقرة : ١٢٠] { ... **وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنْ الظَّالِمِينَ** } [البقرة : ١٤٥]

أجل ! رصدٌ لكل حركة ونأمة ، لكل هاجسة وهمسة ، لكل تحركٍ وعمل ، لكل خاطرة وفكرة ، رصد ودراسات استشراقية على كافة الصُعد : اجتماعية ونفسية ، أدبية وفكرية ، فلسفية وتربوية ، عقائدية وخلقية ، وحتى على مستوى العادات والتقاليد والفلكلورات الشعبية !! .

رصد ودراسات من جانب آخر لكل ما يتعلق بالأرض وما فيها من كنوز وثروات شتى بمسح جوي وأرضي .

إن أعداء هذا الدين يمتلكون القناطير المقنطرة من معلومات يشيب لها الولدان من التعدد والتنوع فيما يخصنا ويخص تاريخنا وحاضرنا ومستقبلنا ، معلومات لا نعلم نحن عنها إلا النذر اليسير اليسير ،

وهي تُطعم لحواسيب ضخمة تهضمها وتبرمجها وتنسقها .. لتكون جاهزة عند الطلب في أي ساعة من ليل أو نهار .

◆ وهل غفل قادة الجماعات كافة هذا الرصد الخبيث ، وهذه الدراسات اللئيمة المبرمجة بدقة واتقان ؟! ونحن نرى كل يوم حلقات التآمر تستحكم حلقاتها على رقابنا من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب ، ونرى المكر السيء يحيق بالإسلام وأهله وأرضه (فلسطين ، نيجيريا ، الصومال ، أفغانستان ، البوسنة والهرسك ، كوسوفا ، الشيشان ..)

حرب ضروس مجنونة في ظاهرها ، عاقلة في خباياها ، حرب شيطانية تستخدم كل الأسباب والمسببات في الإعداد والاستعداد للمطاردة والاقتلاع والحرق والإبادة .. مع اغتيال للقيم العليا والأخلاق الفاضلة ، وتحطيم لمبادئ الصلاح والإصلاح ، لصوصية وسطو مسلح بالقوة والعلم على المقدرات والثروات وما تجود به البلاد الإسلامية المستباحة والمذبوحة وهذا من قبل احتلال فلسطين الحبيبة إلى ما يُسمى بتحرير الكويت وحرب الخليج ، ملاحقات دائمة للعقول العلمية المهاجرة والمُهجَّرة قسراً ، لتجد المأوى والملاذ والحماية عند غير أهلها ، بعد رحلات العذاب والشقاء والسير على غير هدى في أصقاع الدنيا ، وهذا كله ضمن التخطيط الماكر المحسوب حسابه بدقة واتقان !! .

إن من بَدَهيات الأمور في عقيدة هذه الأمة المختارة أنها أمة الإنقاذ ، أمة القيادة الراشدة ، أمة التوجيه والعلم والتعلم ، أمة التقدم والبناء والحضارة .. فإذا ما تخلت عن مِنّة وتكريم (الله ابتعثنا ..) أو تنكبت أمانة التكليف ، ومسؤولية الاستخلاف .. فإنها تغدو فاقدة كل مبررات الاختيار من ربها ، وفاقدة كل صفات التميّز والخيّرية والأصالة .. وما أسهل تمزيقها وتفتيتها والسيطرة عليها وعلى ثرواتها ومقدراتها ، وبخاصة حين تعيش حركاتُها الإسلامية - للأسف الشديد - أجواء الابتعاث المضاد :

ابتعاث الهوى بدل الهدى ، وابتعاث حب الرياسة والزعامة بدل الجندية الصادقة الصامتة ، وابتعاث حب الدنيا وزخارفها الزائلة بدل حب الآخرة ونعيمها المقيم ، وابتعاث الاختلاف والفرقة والاحتراب بدل التلاقي والحب والتآلف على الكتاب والسنة ...

◆ وهل غفلت الجماعات الإسلامية وقادتها عن أمر آخر هو أهم وأخطر من الأول ، وهو أننا جميعاً داخل الضوء والرصد من العليم المحيط سبحانه : { **مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** } [المجادلة : ٧] ، وقال تعالى : { ... **يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا**

يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنْ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } [الحديد : ٤] .

فشتان شتان بين رصد ورصد ، وضوء وضوء ، وإحصاء وإحصاء ، وكتابة وكتابة ، شتان شتان بين دخول في الإسلام والخروج منه ، شتان بين دخول الجنة والخروج منها ، شتان بين العبودية لله والعبودية للطواغيت ، شتان بين العزّ والرفعة وبين الذل والانحدار ، شتان بين القدوة والقيادة وبين الاتباع الذليل الحقير . وصدق رسول الله ﷺ القائل : (لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع ، حتى لو سلكوا حجر ضب لسلكتموه . قالوا : اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟) صحيح الجامع ٤٩٣٩/٣

فيا أبناء الإسلام ، ويا قادة الحركات والجماعات يقول النبي ﷺ : (انتسب رجلان على موسى ، فقال أحدهما : أنا فلان بن فلان ، حتى عَدَّ تسعة فمن أنت لا أمَّ لك ؟ قال : أنا فلان بن فلان ابن الإسلام ، فأوحى الله إلى موسى أن قُل لهذين المُنْتسبين : أما أنت أيها المنتسب إلى تسعةٍ في النار فأنت عاشرهم في النار ، وأما أنت أيها المنتسب إلى اثنين في الجنة فأنت ثالثهما في الجنة) صحيح الجامع ١٥٠٤/١

يا أبناء الإسلام .. أبعثها إليكم جميعاً صرخة حارّةً صادقة .. تعالوا الآن إلى كلمة سواء ، تعالوا لننتسب إلى الإسلام العظيم وحده من جديد ، ليكون اللقاء جديداً ، والتعارف جديداً ، والتآلف جديداً ، والحوار جديداً ، والجهاد جديداً ، والإخاء جديداً ، والتعلم والعلم جديداً ، والعمل جديداً ، والإخلاص جديداً ، والبعث الإسلامي على كل صعيد من صُعد الحياة جديداً ..

تعالوا قبل أن نُدعى بعد حين فلا نستطيع تلبية نداء وحي السماء ؟!

يقول تعالى : { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۞ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** } [الأنفال : ٢٤- ٢٥].